العرفان

غرة ربيع الاول سنة ١٣٣٢ = الموافق ٢٧ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٤

مختصر تاريخ الشيعة

٢

نقل صاحب الروضات عن كتاب الزينة في تفسير الالفاظ المتداولة بين ارباب العلوم لأبي حاتم الرازي « ان اول اسم ظهر في الاسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الشيعة وكان هذا لقب اربعة من الصحابة وهم ابوذر وسلمان الفارسي والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر الى أن آن اوان صفين فاشتهر بين موالي علي عليه السلام » وانت اذا رجعت الى شرح النهج لابن ابي الحديد تجد من ذلك شيئا كثيرا وها نحن ننقل لك هنا بعض ماقيل من الشعر الدال على انهم كانوا يعتقدون بعلي عليه السلام الولاية والوصاية بعد النبي وهو ماتعتقده الشيعة كيف وهو القائل في بعض خطبه وقوله حجة عن آل محمد عليهم السلام « ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة »

ومن الشعر قول عبد الله بن ابي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب

ومنا علي ذاك صاحب خيبر وصاحب بدر يوم سالت كتائبه
وصيُّ النبي المصطفى وابن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه

وقال عبد الرحمن بن جعيل

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة على الدين معروف العفاف موفقا
عليا وصي المصطفى وابن عمه واول من صلى أخا الدين والتقى

وقال ابو الهيثم بن التيهان وكان بدريا من ابيات

ان الوصي امامنا وولينا برح الخفاء وباحت الاسرار

وقال حجر بن عدي الكندي يوم الجمل

يا ربنا سلم لنا عليا سلم لنا المبارك المضيا
المؤمن الموحد التقيا لاخطل الرأي ولا غويا
بل هادياً موفقاً مهديا واحفظه ربي واحفظ النبيا
فيه فقد كان له وليا ثم ارتضاه بعده وصيا

وهذه كتب الصحاح الست والتفسير والسير وغيرها تؤيد مايعتقده الشيعة وان كان لتلك الأحاديث وجه آخر يوجهها به غيرهم اما كتب الشيعة فمملوءة بذلك وقد صنف علماؤهم من متقدمين ومتأخرين عشرات بل مئات من الكتب تؤيد دعواهم وتدعم حجتهم فليرجع اليها من اراد وكلها تدلك على نشأة الشيعة منذ انبثق نور الاسلام على الانام وبهذا يبطل ما استغربته احدى المجلات الاسلاميه من ان صاحب الشيعة وفنون الاسلام عدّ جماعة من كبار الصحابة في الشيعة وأي غرابة من كونهم شيعة واغرب من ذلك قوله انه اذا قصد بالشيعة كل من يوالي اهل البيت فكل المسلمين شيعة بهذا المعنى الا ماشذ منهم فنجيبه انه قصد بالشيعة من يعتقدون ان الامامة من اصول الدين وان الائمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم الاثناعشر علي وولده عليهم السلام بنص النبي عليهم ونصهم على بعضهم واحدا بعد واحد والا فالمفضلون كثيرون عدا عن الموالين كأبي سهل بشر بن المعمر وابي موسى عيسى بن صبيح وابي عبد الله جعفر بن مبشر وابي جعفر الاسكافي وابي الحسين الخياط وابي القاسم عبد الله بن محمود البلخي وتلامذته وابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي وقاضي القضاة عبد الجبار والحسن بن متويه صاحب التذكرة نص على ذلك ابن ابي الحديد في شرح النهج واليه ذهب — الى كثيرين من نظرائهم

فان كان بكل هذا مقنع لمنكري قدم دين التشيع فهو المطلوب والا فكل فريق حر بما يدين ويعتقد والشيعة يوالون جميع المسلمين ويعدونهم اخوانا لهم ولاينصبون العداوة الا لمن غمط حق اهل البيت عليهم السلام ونال منهم

تبين لك مما تقدم ان الشيعة نشأت انتصاراً للعلويين الذين يعتقدون انهم حماة الدين ومنار المهتدين وحجج الله على العالمين وفي الحقيقة ان نشأة الشيعة وبقاءها الى

يومنا هذا من المعجزات لأن الضغط الذي اصابها ، والنوب التي نابتها ، يجب ان تقضي على حياتها ،ولا تبقي لها باقية فقد نفي دعاتها ، وقتل ائمتها ، خصوصا في دولة الامويين فقد روى صاحب الدرجات الرفيعة وغيره عن المدائني في كتاب الاحداث قال كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة ان برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل ابي تراب واهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة على كل منبر يلعنون عليا ويبرأون منه ويقعون فيه وفي اهل بيته وكان أشد الناس بلاء حينئذ اهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم اليه البصرة وكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف لانه كان منهم ايام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر واخافهم وقطع الايدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم من العراق فلم يبق بها معروف منهم

وهكذا كانت حال الشيعة مع الامويين ولما انتقلت الخلافة للعباسيين اصابهم ماهو ادهى وأمر فلو لم يكونوا اصحاب دليل واضح على ماتمسكوا به لما ثبتوا امام تلك المذابح والاحن

وحسبك من بلاء الشيعة والتضييق عليهم ان امامهم ووليهم سب على منابر بني امية نحو ثمانين سنة حتى رفع تلك البدعة السيئة العبد الصالح عمر بن عبد العزيز وفي ذلك يقول كثيّر من ابيات

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف بريئا ولم تقبل اساءة مجرم

والشريف الرضي

يا ابن عبد العزيز لو بكت الـ عين فتى من امية لبكيتك

غير اني اقول انك قد طبـ ت وان لم يطب ولم يزك بيتك

انت نزهتنا عن السب والقذ ف فلو امكن الجزاء جزيتك

قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ذكر شيخنا ابو جعفر الاسكافي رحمه الله تعالى وكان من المتحققين بموالاة علي عليه السلام والمبالغين في تفضيله وان كان القول بالتفضيل عاما شائعا في البغداديين من اصحابنا كافة الا ان ابا جعفر اشدهم في ذلك قولا واخلصهم فيه اعتقادا ان معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله فاختلقوا ما أرضاه منهم ابو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة

ابن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير وروى الواقدي ان معاوية لما عاد من العراق الى الشام بعد بيعة الحسن عليه السلام واجتماع الناس اليه خطب فقال ايها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي انك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الارض المقدسة فان فيها الابدال وقد اخترتكم فالعنوا ابا تراب فلعنوه فلما كان من الغد كتب كتابا ثم جمعهم فقرأه عليهم وفيه هذا كتاب كتبه امير المؤمنين معاوية صاحب وحي الله الذي بعث محمدا نبيا وكان اميا لايقرأ ولا يكتب فاصطفى له من اهله وزيرا كاتبا امينا فكان الوحي ينزل على محمد وانا اكتبه وهو لايعلم ما اكتب فلم يكن بيني وبين الله احد من خلقه فقال له الحاضرون كلهم صدقت ياأمير المؤمنين !

قال ابو جعفر وقد روي ان معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة الف درهم حتى يروي ان هذه الآية نزلت في علي عليه السلام ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد وان الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فلم يقبل فبذل له مائتي الف درهم فلم يقبل فبذل له اربعمائة الف فقبل وروى ذلك قال وقد صح ان بني امية منعوا من اظهار فضائل علي عليه السلام وعاقبوا ذاك الراوي له حتى ان الرجل اذا روى عنه حديثا لايتعلق بفضله بل بشرائع الدين لايتجاسر على ذكر اسمه فيقول عن ابي زينب وروى عطاء عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال وددت ان اترك لأحدث بفضائل علي بن ابي طالب عليه السلام يوما الى الليل وان عنقي هذه ضربت بالسيف قال فالاحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل الى غاية بعيدة لانقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدة وشدة العداوة ولو ان لله تعالى في هذا الرجل سرا يعلمه من يعلمه لم يروفي فضله حديث ولا عرفت له منقبة الا ترى ان رئيس قرية لو سخط على واحد من اهلها ومنع الناس ان يذكروه بخير وصلاح لخمل ذكره ونسي اسمه وصار وهو موجود معدوما وهو حي ميتا

تلك كانت افعالهم مع علي عليه السلام وهم قريبو اعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد اتفقت الاخبار التي لاريب فيها عند المحدثين ان النبي (ص) قال له لايبغضك الا منافق ولا يحبك الا مومن وقال الشيخ ابو القاسم البلخي روى كثير من ارباب الحديث عن جماعة من الصحابة قالوا ماكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى

الله عليه وآله الا ببغض علي ابن ابي طالب وهم بعد كل هذا قد فعلوا ما فعلوا ونالوا منه ما نالوا فلم يزده ذلك الا رفعة وفضلا

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا فضله فالناس اعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغيا انه لدميم

ولم يزد اشياعه ومواليه الا تمسكا بولايته وما احسن ما قاله بعضهم ماذا اقول في رجل كتم اعداوه فضائله بغضا وحسدا واخفى اولياوه ذلك تقية وخوفا وظهر من بين الكتمانين ما ملأ الخافقين

قتل الشيعة اي تقتيل ، ونيل منهم ما نيل ،وفعل بأئمتهم وهداتهم ما فعل وهم مع ذلك بعقيدتهم متمسكون لا يحيدون عنها قيد اظفور نفوا وشردوا وحرموا من العطاء،وحلت بهم اللأواء،وهم ثابتون بويع لعلي بالخلافة فانتقض عليه قوم وحاربه آخرون ثم انتهى الامر باستشهاده وهو ساجد في محرابه والتجأ اولاده لاخفاء محل دفنه خوفا من بني امية ثم سمَّ ولده الحسن من بعده وقتل بضعته الحسين مع جميع اهل بيته وسبيت حرمه وذراريه والشيعة مع ذلك شيعة يدينون الله بولاء اهل هذا البيت الطاهر وقد صنفوا والفوا ودونوا العلوم الاسلامية قبل ان يفكر احد في تدوينها ولما جاء عصر الصادق عليه السلام كثر سوادهم ونبغ الفقهاء والمتكلمون منهم والفوا الالوف المؤلفة من الكتب والاسفار وما زالوا كذلك في زمن الايمة الاثنى عشر وما بعدهم الى يومنا هذا لم يثنهم اضطهاد الناس لهم،وغمطهم حقوقهم،عن الانتصار لدينهم،والاخذ بعضد ايمتهم ، نعم كان الثابتون الصادقون منهم قلائل غير ان قليلهم لا يقال له قليل وانك ترى ثلث المسلمين الآن شيعة مع ما توالى عليهم من الاضطهاد في كل عصر ومصر حتى هذا العصر

واذا اردت ان تعرف العلوم التي اسسوها ، والفنون التي دونوها ، والكتب التي الفوها ، فارجع الى كتاب الشيعة وفنون الاسلام (١) فانه قد حوى اللباب ، في هذا الباب

وانك لتعلم مما تقدم معك ان الشيعة نشأت في صدر الاسلام انتصاراً للعلويين ، وتاييداً للدين الحنفي المبين، ولم تكن نشأتها لمجرد الغرض الاعمى،والسياسة الخرقاء،

(١) لمؤلفه السيد حسن الصدر من اكابر علماء العراق طبع بمطبعة العرفان سنة ١٣٣١ ويباع بيشلكين

بل اتبعوا امر نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم القائل « خلفت فيكم الثقلين (١) كتاب الله وعترتي اهل بيتي حبلان ممدودان من السماء الى الارض لايفترقان حتى يردا عليّ الحوض » وهو حديث متفق عليه، ومتسالم على صحته، والى ذلك يشير امير المؤمنين عليه السلام بقوله من خطبة له « حتى اذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الاعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي امروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص اساسه فبنوه في غير موضعه الخ

ويجدر بنا هنا نشر الرسالة الاربعينية في المسائل الكلاميه تصنيف محمد بن مكي المعروف بالشهيد الاول المتوفى في القرن الثامن وهو من اشهر مشاهير علماء الشيعة لتبيين عقائد الشيعة وهي من الرسائل المخطوطة التي لم تطبع اهديت لنا مع رسالة غيرها للشهيد نفسه اسمها الرسالة التكليفيه من احد فضلاء العراق وهاهي برمتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بجميع محامده، على جميع عوائده، وله الشكر لسابق اقسامه، على جميع انعامه، وافضل صلاة وتسليم على نبي من خير صميم، محمد النبي الامي وعلى آله الغر اللهاميم (٢) صلاة تبلغنا دار النعيم، وتنجينا من العذاب الاليم

وبعد فهذه رسالة في المسائل الكلامية وضعتها تقربا الى باري البرية وحصرتها في اربعين مسئلة

(الاولى) العالم وهو كل موجود سوى الله تعالى حادث بمعنى انه مسبوق بالعدم سبقا لايجامع فيه المتقدم المتأخر وليس ذلك السبق بالزمان لأن الزمان نفسه مسبوق بعلة وبرهانه ان ماسوى الله تعالى اما جواهر اي قائمة بنفسها او اعراض اي قائمة بغيرها حالّة فيه وحدوث الاجسام تستلزمه حدوث الاعراض لعدم تصورها غير تابعة لها والتابع للحادث حادث فنقول :

الاجسام لاتخلو من حصول في مكان أو وضع بالضرورة فذلك الحصول ان كان حادثا لزم حدوث الجسم لعدم انفكاكه عن الحادث وان كان قديما لزم عدم تغيره لأن القديم إن كان واجب الوجود استحال عدمه وان كان ممكن الوجود فعليه لابد وان يكون واجب الوجود لاستحالة التسلسل وان يكون موجبه لأن اثر المختار محدث لما يأتي ويلزمه من استحالة عدمه عليه عدمه لكن التغير جائز اتفاقا ولأن الاجساد

(١) بفتح الثاء والقاف معا وكسر الثاء وتسكين القاف خطأ (٢) لهاميم الناس اشياخهم واسخياؤهم

لاتنفك من حركة وهي الحصول في حيز بعد ان كان في آخر وانتقال من مكان الى آخر والسكون وهو اللبث في مكان أزيد من آن وهما محدثان لاستدعاء مفهومها السبق بالغير والقديم لايتصور ان يكون متبوعا بالغير ولا يمكن الجمع بينهما وما لاينفك من حادث حادث ضرورة

(الثانية) الله تعالى موجود لما تقدم في حدوث ماسواه وقضاء صريح العقل باحتياج الحادث الى محدث ولان العقل قاض بوجود موجود فان كان ذلك الموجود واجب الوجود فهو المدعى وان كان ممكن الوجود افتقر الى موجد فان كان واجبا فهو المدعى وان كان ممكنا عاد الاحتياج فان عاد الى الاول لزمه الدور وان كان الى ثالث لزم التسلسل وسيأتي ابطالها

(الثالثة) الله تعالى قديم اي لايسبقه عدم ويلزم ان لايلحقه عدم ولانه او لم يكن قديما لكان حادثاً ضرورة لانحصار الموجود في القديم والحادث وحدوثه يؤدي الى الدور والتسلسل المحالين فيكون محالا فيثبت قدمه

(الرابعة) الله تعالى ابدي وهو ظاهر الثبوت بعد بيان وجوب وجوده لانه او لم يكن ابديا لتطرق اليه العدم وواجب الوجود لايتطرق اليه العدم

(الخامسة) الدور عبارة عن توقف حصول الشيء على مايحصل الا بعد حصول ذلك الشيء وبديهة العقل حاكمة ببطلانه والتسلسل عبارة عن تتالي امور بينها ارتباط لاالى غاية ودليل بطلانه ان تلك الامور قابلة للزيادة والنقصان فتكون متناهية ولأن مامضى من الحوادث لو كان غير متناه لم تصل النوبة الى الحادث اليومي لتوقفه على انقضاء مالا نهاية له ولأن تلك الجملة ممكنة قطعا لافتقارها الى آحادها فتحتاج الى موثر خارج عنها والخارج عن الممكنات واجب الوجود فينتهي اليه

(السادسة) الله تعالى قادر مختار ونعني به انه يمكنه الفعل والقول لا كالموجب الذي له احدهما وبرهانه انه او لم يكن قادرا لكان موجبا ضرورة انحصار التأثير في الجائز والواجب لكن موجبيته باطلة اذ معناه مالا ينفك عن اين

وقد بينا انه تعالى قديم وان اثره وهو العالم محدث ولو لم ينفك عنه لزمه اما قدم العالم او حدوث الله تعالى وهو باطل ولانه لو كان موجبا لزم تغيره بتغير شيء من العالم لأن التغير لابد وان ينتهي بالآخرة الى الله تعالى اذ هو علة العلل والتغير على الله محال لما ثبت من وجوب وجوده فلا يكون موجبا

واعلم انه ينبغي في ثبوت حدوث الاجسام وجود الحادث اليومي ويلزم من ثبوت حدوث الاحياز حدوث كل ماسوى الله تعالى وما زعم الخصم انه موجود غير متحيز ولا حال فيه وسماه بالنفوس والعقول فانها ان ثبتت كانت حادثة بدليل الاحياز والواسطة الممتازة بين الله تعالى وبين العالم منتفية باجماع المسلمين ولأنها من جملة العالم لما يأتي من استحالة تعدد الواجب فهي ممكنة وكل ممكن محدث وكل محدث مفعول بالاحياز ولأن العالم كل موجود سوى الله تعالى فلا يعقل اذاً واسطة بين الله تعالى وبين العالم

(السابعة) الله تعالى عالم ونعني به انه بين الاشياء تبيينا بموجب احكام العقل واتقانه

وبرهانه انه قد ثبت انه حادث مختار والمختار انما ينفعل بتوسط وضد وداع وهما لايتوجهان الى النبي الا بعد العالم ولانه تعالى احكم صنع العالم واتقنه لانه مامن شيء من مخلوقاته الا وهو منتهي للمنافع المطلوبة منه وكل من كان كذلك يسمى في اللغة العربية عالما فيكون الباري تعالى عالما

(الثامنة) الله تعالى حي وهو بيّن الثبوت بعد اثبات كون الله تعالى قادرا عالما لاستحالة قدرة وعلم من غير حياة وهذا تنبيه لادليل

(التاسعة) الله تعالى واحد لاشريك له في خلق العالم ولا في وجوب الوجود ولا في استحقاق المعاد لانه لو كان معه إله واجب الوجود لاشتركا في هذا الوصف اعني وجوب الوجود وامتازا بتعينهما فيلزم تركبهما من وجوب الوجود والتعين وسيأتي ان واجب الوجود ليس بمركب ولانه لو تعددت الآلهة فسد نظام العالم لامكان الأختلاف في الارادات والكراهات للمناقضات فان وقع المراد وارتفع لزم اجتماع المتكافلان وارتفاعها ولا مرجح لوقوع مراد واحد دون الآخر وهذان اليهما الاشارة في التنزيل الآلهي فالاول في قوله تعالى (قل هو الله احد الله الصمد) فان الصمد المراد به هنا والله اعلم المنزه عن الانقسام والتركيب على ماذكره بعض المفسرين والثاني قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)

(العاشرة) الله تعالى قادر على كل معدود وعالم بكل معلوم لأن نسبة ذاته الى كل واحد من المعدودات والمعلومات متساوية لما سيأتي من تجرده عن الجهات واستغنائه عن الاحياز فاختصاص واحد باتصافه ترجيح بلامرجح

مودة اهل البيت فريضة (١)

قال الله تعالى (قل لااسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ام يقولون افترى) الآية اجمع اهل البيت واولياؤهم على ان القربى هنا انما هم علي وفاطمة وابناؤهما فهي مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والاستثناء متصل والمعنى لاأسئلكم على اداء الرسالة اجرا الا ان تودوا قرابتي وتحفظوني فيهم ، وهذا في الحقيقة ليس اجرا له صلى الله عليه وآله لأن قرابته حجج الله البالغة عليهم ، ونعمه السابغة لديهم ، فمودتهم لازمة لهم ، ونفعها عائد عليهم ، كما قال في سورة سبأ وهو اصدق القائلين (قل ماسألتكم من اجر فهو لكم) يعني لااسئلكم على تبليغ الرسالة شيئا من عرض الدنيا ليتهمني المنافقون وما طلبته منكم اجرا عليه من مودة قرابتي فانما هو لكم

ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا اي لاأسئلكم عليه اجرا قط ولكن اسئلكم ان تودوا قرابتي الذين هم بقيتي فيكم وقد اعتُرِض على ماذكرناه من تفسير القربى بانه لو اريد المودة لهم لقال الا المودة للقربى اه وهذا تغافل عما لا يغفل عنه ذو حظ من بلاغة وتجاهل بما لا يجهله ذو خبرة بمواقع الكلام فان اللام هنا لاتفيد ما افادته في من المبالغة بمودة القربى وجعلهم موضع الود والموالاة كما يعلمه جهابذة العربية ويشهد به ائمة علم البلاغة قال الزمخشري في كشافه بعد تفسير القربى بما ذكرناه فان قلت فهلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة في القربى قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة المودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في

---

(١) قال الامام الشافعي

يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن انزله

كفاكم من عظيم الفضل انكم ... من لم يصلّ عليكم لاصلاة له

وقال الشيخ شمس الدين بن العربي كما في الصواعق

رايت ولائي آل طه فريضة ... على رغم اهل البعد يورثني القربى

فما طاب المبعوث اجرا على الهدى ... بتبليغه الا المودة في القربى

الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيه اه بلفظه ولله دره ماأوفر نصيبه من الاحاطة بالاسرار التي لاتتناهى البلاغة ولا يتم الاعجاز الا بها

واعترضوا ايضا بان هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية والحسنان ولدا بالمدينة فلا يمكن ارادتهما منها والجواب ان هذه الآية وما بعدها الى آخر ثلاث آيات مدنية قطعا بحكم الاخبار المتضافره من طريق العترة الطاهرة وقد روى ذلك صاحب مجمع البيان عن ابن عباس وقتادة ويدل عليه ايضا (مضافا الى ماستسمعه من طريق غيرنا عن النبي والائمة من عترته) ماقيل في سبب نزولها من ان الانصار اتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمال جمعوه (كما في الكشاف وغيره) فقالوا يارسول الله قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق ومالك سعة فاستعن بهذا علىماينوبك فنزلت الآية فرده النبي صلى الله عليه وآله وتلاها عليهم وفي الكشاف ايضا وغيره رواية اخرى في نزولها جاء فيها ان الانصار فاخروا بعض بني هاشم فعاتبهم النبي صلى الله عليه وآله بذلك فجثوا على الركب وقالوا اموالنا ومافي ايدينا لله ولرسوله فنزلت الآية

أليست هذه الاخبار صريحة في نزولها في المدينة وان المراد من القربى ماذكرناه ولا ينافي ذلك كونها في سورة مكية لان ترتيب الكتاب العزيز في الجمع ليس على حسب ترتيبه في النزول (١) اجماعا وقولا واحدا الا ترى ان الاغلب من اواخره مكي والاكثر من اوائله مدني فلو كان مرتبا على حسب نزوله اوجب تقديم بعض ماأخر وتأخير بعض ماقدم ولكانت سورة العلق في اوائله ومن هنا كان اغلب السور المكية لاتخلو من آيات مدنية و كذلك العكس بحكم ائمة السلف والخلف من الفريقين ودونك (ان شئت التفصيل) اوائل السور من مجمع البيان في تفسير القرآن او اول كل من المائدة والاعراف والرعد والاسرا والكهف ومريم والحج والشعراء والقصص والروم ولقمان وسبأ والزمر والزخرف والدخان والرحمن والمجادلة من كتاب تفسير القرآن من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري وسائر المؤلفات في هذا الموضوع وبعد التتبع قل لي كيف الغى المعترضون صحاح الاخبار المفسرة للقربى بما

(١) نعم جمعه علي عليه السلام على تنزيله كما هو متواتر عندنا عن الائمة من ابنائه وكان محمد بن سيرين يقول (كما في الفصل الرابع من الباب التاسع من الصواعق) لو اصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم والتفصيل في كتابنا (سبيل المؤمنين)

قلناه وصرفوا الآية عن اهلها بمجرد كونها في سورة يقال عنها مكية ومن أوحى اليهم ان آيات تلك السورة مرتبة في الجمع على حسب نزولها او نبأهم انها ليست كاغلب السور فيها آيات مكية واخر مدنية ووصفها تابع المغلبة (ان يتبعون الاالظن وما تهوى الأنفس وقد جاءهم من ربهم الهدى)

على انه لامانع من تناول الآية للحسنين عليهما السلام حتى لو فرضنا نزولها قبل ولادتهما لأن المودة فيها غير مقصورة على من كان من القربى موجودا حين نزولها بل هي ثابتة فيهم وهم على الاطلاق مكانهما كما سمعت وهذه الآية نظير قوله تعالى (يوصيكم الله في اولادكم) اترى احدا من المسلمين قصر هذه الوصية على من كان موجودا من الاولاد حين نزولها كلا بل لم يتوهم ذلك ابن انثى فليت شعري ماالفرق بين الآيتين واما ماسمعته من قول النبي صلى الله عليه وآله في تفسير القربى هم علي وفاطمة وولدهما فيجوز ان يكون متأخرا عن نزولها او انه خبر عن الله عزوجل بالغيب فيكون من اعلام النبوة ولا غرو فقد اخبر عن خلفائه الاثنى عشر تارة على سبيل الاجمال واخرى على سبيل التفصيل وامر الامة بمودتهم واتباعهم ونحن مهما شككنا فلا نشك في ان العترة والكتاب ثقلا رسول الله صلى الله عليه وآله وان كلا منهما يفرغ عن الآخر لانهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض وقد تواترت اخبارنا عنهم في تفسير القربى بما ذكرناه واليك لمعة مما جاء في ذلك من حديث غيرنا

اخرج احمد والطبراني وابن ابي حاتم والحاكم عن ابن عباس (١) كما نص عليه ابن حجر الهيثمي (٢) وغيره قال لما نزلت هذه الآية قالوا يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال (ص) علي وفاطمة وابناهما اه واخرجه ايضا جماعة آخرون كالبغوي والثعلبي في تفسيريهما والحافظ ابي نعيم في حليته والحمويني الشافعي في فرائده وارسله الزمخشري في كشافه ثم قال ويدل عليه ماروي عن علي رضي الله عنه شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس لي فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين الحديث ثم روى عن النبي صلى الله عليه وآله قوله حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في

(١) هذه الرواية عن ابن عباس تكذب ماقيل عنه من تفسير القربى بالمعنى الذي اختاره عكرمه

(٢) في تفسير الاية الرابعة عشرة من الآيات التي اوردها في الفصل الاول من الباب الحادي عشر من صواعقه وكل ماننقله في هذا المقام عن الصواعق موجود هناك ايضا فراجع

عترتي الحديث ثم اورد حديثا آخر الى ان قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الحديث وقد اخرجه الثعلبي ايضا في تفسيره ونقله خلق كثير وانت تعلم ان هذه المنزلة السامية انما ثبتت لهم لانهم حجج الله البالغة ، ومناهل شرائعه السائغه ، وامناؤه على وحيه ، واولياؤه في امره ونهيه ، فالمحب لهم بسبب ذلك محب لله ، والمبغض لهم مبغض لله ومن هنا قال فيهم الفرزدق

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم اوقيل من خير اهل الارض قيل هم

واخرج الحاكم (كما في تفسير هذه الآية من مجمع البيان) بالاسناد الى ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى خلق الانبياء من اشجار شتى وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة فانا اصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها واشياعنا اوراقها فمن تعلق بغصن من اغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى ولو ان عبداً عبد الله الف عام ثم الف عام ثم الف عام حتى يصير كالشن البالي وهو لا يحبنا كبه الله على منخريه في النار ثم تلا (قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى) اه واخرج ابو الشيخ وغيره (كما في الصواعق وغيرها) عن علي عليه السلام فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا الا كل مؤمن ثم قرأها والى هذا اشار الكميت بقوله

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومعرب

واخرج البزاز والطبراني (كما في الصواعق ايضا) عن الامام ابي محمد الحسن المجتبى سلام الله عليه بطرق مختلفة انه خطب خطبة قال فيها وانا من اهل البيت الذين افترض الله عزوجل مودتهم وموالاتهم فقال فيما انزل على محمد صلى الله عليه

وآله قل لا اسئلكم عليه اجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا واقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت اه واخرج الطبراني (كما في الصواعق ايضا) عن الامام زين العابدين عليه السلام انه لما اقيم (بابي وامي) اسيرا على درج دمشق قال له بعض جفاة اهل الشام الحمد لله الذي قتلكم فقال أماقرأت (قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى)قال وانتم هم قال نعم اه واخرج احمد بن حنبل (كما في الصواعق ايضا) عن ابن عباس (١) في قوله تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال هي المودة لآل محمد (ص) وروى ابو حمزة الثمالي في تفسيره عن ابن عباس انه حين استحكم الاسلام بعد الهجرة قالت الانصار فيما بينها نأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فنقول له قد تعروك امور فهذه اموالنا لك تحكم فيها كيف شئت فأتوه في ذلك فنزلت الآية فقرأها عليهم وقال تودون قرابتي من بعدي فخرجوا مسلمين لقوله وقال المنافقون ان هذا لشيء افتراه في مجلسه أراد بذلك ان يذللنا لقرابته من بعده فنزلت ام يقولون افترى على الله كذبا الحديث ونقل الثعلبي والبغوي (كما في الصواعق ايضا عن ابن عباس (٢) مثله

قاتل الله الحسد فانه يورد اهله جرف المهالك انظر كيف مرق هؤلاء من الدين وكذبوا حسدا لاولياء الله نبيهم الصادق الامين فانزل الله في ذلك قرآنا يتلى آناء الليل واطراف النهار اتماما لنور اوليائه ولو كره المشركون ومع ذلك فقد وازر اولئك الحاسدين جماعة من امثالهم فنسجوا في صرف الآية عن اهلها على منوالهم حتى قال بعضهم (كما في الصواعق) ان الآية منسوخة بقوله تعالى (قل ما سئلتكم عليه من اجر فهو لكم) وانت ترى ان وجوب مودة القربى بكل المعاني مستمر بحكم الضرورة في دين الاسلام فما معنى نسخ الآية يامسلمون على انه لا تنافي بين الآيتين ليكونا من قبيل الناسخ والمنسوخ كما لا يخفى وقال آخرون معنى الآية لا اسئلكم الا ان تودوا القربى من الله عز وجل بالاعمال الصالحة وقيل بل معناها ان تودوا قرابتكم وتصلوا ارحامكم وقد اوضحنا في كتابنا (سبيل المؤمنين) ان ارباب هذه الاقوال بين عدو لاهل البيت ومتزلف الى اعدائهم على انها اقوال بالرأي في مقابل ما سمعت بعضه من النصوص

---

(١) هذا يكذب ما قيل عن ابن عباس من تفسير القربى بما اختاره عكرمه

(٢) وهذ ايضا يكذب ما نقل عن ابن عباس من تفسير القربى بما ستسمعه عن عكرمه

وقيل ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وآله بان يقول لمشركي قريش لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى يعني الا ان تودوني في قرابتي منكم وتصلو الرحم التي بيني وبينكم وفيه (اولا) أنه اجتهاد في مقابل النصوص (وثانيا) ان الآية مدنية كما سمعت فاين مشركوا قريش عنها (وثالثا) ان سبب نزولها بحكم ماسمعته من الاخبار انما هو عرض الانصار اموالهم فيكون الخطاب معهم (ورابعا) انه لا يصح ان يكون الخطاب مع المشركين اذ يقبح طلب الاجر على اداء الرسالة ممن نفرمنها وبلغ اقصى الغايات في الصدود عنها وانما يحسن ذلك ممن آمن بها وعدها نعمة عليه (وخامسا) ان هذا القول لم يثبت الا عن عكرمة وتبعه فيه جماعة من صنائع بني امية كما اوضحناه في سبيل المؤمنين وهؤلاء لا تقبل اقوالهم ولا سيما في مثل المقام فانَّ عكرمة من كبار الخوارج ومؤسسي بدعتهم كما عن يحيى بن بكير قال قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب قال فالخوارج الذين هم بالمغرب عنه اخذوا وعن خالد ابن ابي عمران قال كنا بالمغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم فقال وددت ان بيدي حربة فاعترض بها من شهد الموسم يمينا وشمالا وعن يعقوب الحضرمي عن جده قال وقف عكرمة على باب المسجد فقال ما فيه الا كافر قال وكان يرى رأي الاباضية وقال ابن المديني كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري وقال مصعب الزبيري كان عكرمة يرى رأي الخوارج وعن عطاء كان عكرمة اباضيا وعن احمد بن حنبل ان عكرمة كان يرى رأي الصفرية وحدث ايوب عن عكرمة انه قال انما انزل الله متشابه القرآن ليضل به (فانظر الى آرائه ما اخبثها) وعن ابن ابي شعيب قال سألت محمد ابن سيرين عن عكرمة فقال ما يستوي ان يكون من اهل الجنة ولكنه كذاب وعن وهيب قال شهدت يحيى بن سعيد الانصاري وايوب فذكرا عكرمة فقال يحيى هو كذاب وعن ابن المسيب انه كذب عكرمة وعن عبد الله بن الحارث قال دخلت على علي بن عبد الله فاذا عكرمة في وثاق فقلت الا تتقي الله فقال ان هذا الخبيث يكذب على ابي وعن ابن المسيب انه قال لمولاه برد لاتكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس ويروى ذلك ايضا عن ابن عمر انه قاله لمولاه نافع وعن طاوس لوأن عند مولى ابن عباس تقوى الله وكف من حديثه لشدت اليه المطايا وعن ابي ذوءيب رأيت عكرمة و كان غير ثقة وعن يحيى بن سعيد قال حدثوني والله عن ايوب انه ذكر له ان عكرمة لا يحسن الصلاة فقال أيوب وكان يصلي ؟

وقال محمد بن سعد كان عكرمة كثير العلم وليس يحتج بحديثه ويتكلم الناس فيه وقال مطرق بن عبد الله سمعت مالكا يكره ان يذكر عكرمة ولا يرى ان يروي عنه وقال احمد بن حنبل ماعلمت ان مالكا حدث بشيء لعكرمة الا في مسئلة واحده ذكرها احمد وروى سليمان بن معبد السنجي قال مات عكرمة وكثير عزه في يوم واحد فشهد الناس جنازة كثير وتركوا جنازة عكرمة وعن الفضل الشيباني عن رجل قال رايت عكرمة قائما في لعب النرد وعن يزيد بن هارون قدم عكرمة البصره فاتاه ايوب ويونس وسليمان فسمع صوت غناء فقال اسكتوا ثم قال قاتله الله لقد اجاد فاما يونس وسليمان فما عادا اليه

الى آخر ماهو مأثور عن هذا الرجل مما يدل على سقوطه بالكلية فراجع ترجمته في ميزان الاعتدال فان هناك جميع مانقلناه عنه على ان كل من ترجمه كابن خلكان في الوفيات والعسقلاني في مقدمة فتح الباري وغيرهما طعنوا فيه بما سمعت والشهرستاني لما ذكر رجال الخوارج كان عكرمة اول من عده منهم فهل يجوز مع هذا كله صرف آية القربى عن اهلها بمجرد قوله وهو العدو لهم الخارجي عليهم

وقد اخطأ من نسب هذا القول الى ابن عباس اعتمادا على خبر رواه البخاري في باب قوله الا المودة في القربى من كتاب تفسير القرآن من صحيحه عن محمد بن بشار عن محمد بن جعفر وهما ضعيفان باتفاق الامامية ووافقنا يحيى بن معين (كما في ميزان الاعتدال) على تضعيف محمد بن بشار بل كذبه الفلاس فراجع

وكيف يقول ابن عباس في تفسير القربى غير الذي قلناه مع ماسمعته من الاحاديث الثابتة عنه في تفسير القربى بعلي وفاطمة وابنائهما وتفسير الحسنة بمودتهم ومن اراد التفصيل فعليه بكتابنا سبيل المؤمنين (١) فان هذه اللمعة مقتبسة منه والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

عبد الحسين



صور ابن شرف الدين الموسوي

﴿ ولاء عارف ﴾

ولاؤك يامحمد قد اراني طريق الحق والدين القويم

وحبك ياعلي القدر أضحى يبشرني بجنات النعيم

---

(١) كتاب مخطوط لم يطبع

هل في هذا التذكار معتبر ومزدجر (١)

ايها السادة

اما بعد فاذا لم يتحقق ناموس النشوء والارتقاء في هيكل الانسان وتركيبه ، فهو لاريب محقق في افكاره ومعارفه ، لأنا نعلم علم اليقين ان خفيات الاسرار ، ومبتكرات الأفكار ، التي توصل لها ألانسان في القرن الثالث عشر والرابع عشر لم يتوصل اليها في القرون التي تقدمتها بل ولافي زمن من ازمنة التاريخ الذي نعرفه. فعصر نوح ارقى من عصر آدم وعصر ابراهيم ارقى من عصر نوح وعصر موسى ارقى من عصر ابراهيم وعصر عيسى ارقى من عصر موسى كما ان عصر خاتم الانبياء محمد عليه الصلاة والسلام ارقى العصور

نعم قد يحصل فترة قليلة ، بيد انها تكون في امة دون امة وفي قبيلة دون قبيلة ، سار الناس على هذه السنة التي لاتتغير ولا تتبدل لأنها سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا . وهو سبحانه مع انه قادر على كل شيء لايمكن ان يجري في مخلوقاته الا على نظام مطرد ، وسنن معقول ، قال سبحانه (وآتيناه من كل شيء سبباً) لايجهل احد انه لابد لكل جمعية من نظام خاص تسير عليه والا كان الاختلال رائدها ، والانحلال القوى مصيرها ، وقد شاء الله موجد العالم من العدم ان يسن لمخلوقاته البشرية نظاما يسيرون على سننه رحمة بهم ، واستجلابا لمصلحتهم ، فبعث منهم رسلا يبينون لهم ذلك النظام ، ويهدونهم الى طريق الصلاح والسلام ، فكان منهم الصالح والطالح ، والسعيد والشقي ، وهو سبحانه هدى الانسان النجدين فاما شاكراً واما كفورا

ولم تخل هذه الارض الفضاء من بدء التاريخ الى نهاية العالم من اقوام سلكوا سبل الشرور ، وتردوا برداء الغواية والغرور ، فكان من الحكمة ان يكون لهذه الدهماء رادع يردعهم ، ووازع يزعهم ، ولا يمكن ان يتيسر ذلك بغير الدين ، فالدين اذاً لازم لجميع العالمين ، والاسادت الفوضى واختل النظام . وان يوما يزول به الدين

---

(١) هي المحاضرة التي القيناها على خمسين عضوا من اعضاء جمعية نشر العلم في صيدا يوم المولد النبوي الشريف سنة ١٣٣١ وقد راينا نشرها في هذا العدد بمناسبة قرب هذا التذكار العظيم فلعل بها فائدة وذكرى للقراء الكرام وحثا لهم على الاحتفال بمولد نبيهم الكريم

به الدين عن وجه البسيط لهو اليوم الذي يفنى به العالم، وتضمحل به الشعوب والامم

تمشت الشرائع على سنن النشء والارتقاء كما اسلفنا فكانت في كل آن عرضة للتقدم وان لم يتغير جوهرها لأنها من لدن حكيم عليم واول شريعة عرفت ودان بهـا الناس خصوصا العرب هي شريعة ابراهيم عليه السلام ولم تتصل بنا الصحف التي انزلت عليه والكتب السماوية المعروفة الآن هي التوراة والانجيل والقرآن اما التوراة التي انزلت على موسى كليم الله فقدحوت طرفا صالحا من اخبار الماضين ومواعظ كثيرة واحكاما شديدة لا تصلح لهذا الزمان . واما الانجيل الذي انزل على عيسى روح الله فقد ضم بين دفتيه كثيرا من العظات البالغة غير انه لا يوجد به من الاحكام شيئا

اما القرآن الكريم الذي انزل على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد حوى من الاحكام اعدلها ، ومن الحكم افضلها ، ومن احاديث الماضين اصدقها واخصرها ، ومن الكلمات البليغة افصحها وانقاها ديباجة فهي الديباج الخسرواني، والدر العماني ، ولا غرو فهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيـل من حكيم حميد وقد انزل ليكون صالحا لكل زمان ومكان

اذا تقرر لديكم ان الدين ضروري لحفظ نظام البشر وانه لا بد له من مبلغ يبلغه عن الله نتج من ذلك ضرورة بعثة الرسل على حسب احتياج كل امة وقبيل فلنبحث الآن عن اسباب بعثة نبينا عليه افضل الصلاة والسلام وحال الناس قبله وبعده وتأثير دعوته لدى كافة البشر فنقول وبالله التوفيق

تعلمون يابيض الله بكم وجوه العرب ، وشيد بمساعيكم صروح العلم والأدب، ان العرب امة اقرب الى البداوة منها الى الحضارة فهم رواد قفار، وحلفاء فلوات، لا تطيب نفوسهم، ولا ترتاح خواطرهم الا الى ذرع الارض في الطول والعرض، فحيث رأوا امنبتا طيبا، وكلاء وعشبا، ومرعى مخصبا، أناخوا رحالهم ، وضربوا خيامهم، فهم عشاق الطبيعة، وأحلاف الحرية، ولذلك كانوا ابعد الامم عن ملك يجمع امرهم، ويلمّ شعثهم، الا ما كان من التبابعة في اليمن ، والمناذرة في العراق ، والغساسنة في الشام وهم قليل بالنسبة لمن سواهم ولم تمكن نوع حكومتهم على شكل بقية الحكومات ولم يزل العرب الخلص الى الآن ابعد الناس عن الاذعان للقوة ، والتقيد بالسلطة ، وقد كانت العرب في الجاهلية لكل قبيلة رئيس وكان لهم عادات مستهجنة ، كما كان لهم عادات مستحسنة، فمن محاسن عاداتهم الشجاعة والكرم واكرام الضيف وحفظ الجار وصون العرض الى

غير ذلك ومن مساوئها وأد البنات اي دفنهن وهن احياء ، حذار من هتك اعراضهن وقتل الاولاد مخافة من الفقر وعبادة الاصنام الى غير ذلك مما لا يتيسر احصاؤه ، وقد يصعب استقصاؤه

ان قوما بلغوا من الانحطاط في الاخلاق والعادات والعبادات الى هذا الحد لفي امس الحاجة الى رسول يقوم منآدهم ، ويصلح فسادهم ، ويهديهم الى الطريق القويم ، والصراط اللاحب المستقيم ، خصوصا وقد مضى على بعثة المسيح عليه السلام ستة قرون عاد بها الناس الى الجاهلية الاولى ، وخالفوا الاحسن والاولى ، نعم كان بين العرب شذاذ يدينون بدين التوحيد ويتبعون شريعة ابراهيم عليه السلام ومنهم من كان يدين بالمسيحية غير ان النادر لا يقاس عليه

لم يكن مولد النبي العربي فجأة غير مسبوق بمقدمات بل كانت الدلائل على مولده تترى ، والبشرى تتلو البشرى ، وكان بنو هاشم بين العرب من الشرف في الصميم ، ومن علو القدر وسمو المكانة في المقام العظيم ، ولم يكن اجداد النبي عليه افضل الصلاة والتسليم ، يعبدون اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وانما كانوا يعبدون الواحد الأحد كما ثبت في الاخبار الصحيحة ، والنصوص الصريحة ، ومن جملة البشائر في هذا النبي العظيم بشارة سيف بن ذي يزن «فقد روي انه لما ظفر بالحبشة وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببعض اعوام اتى شرفاء العرب لتهنئته وبينهم عبد المطلب بن هاشم ولما اجتمعوا معه تكلم عبد المطلب كلاما اعجب به ابن ذي يزن غاية الأعجاب ولما كان بعد شهر ارسل الى عبد المطلب فأخلاه وادنى مجلسه منه وقال يا عبد المطلب اني مفوض اليك من سر علمي ما لو كان غيرك لم ابح له ولكن رايتك معدنه واطلعتك عليه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ فيه امره اني اجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيره خبرا عظيما ، وخطرا جسيما ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة ، للناس عامة ولرهطك كافة ، ولك خاصة ، قال عبد المطلب ايها الملك فمثلك من سرّ وبر فما هو فداك اهل الوبر ، زمرا بعد زمر ، قال اذا ولد بتهامة ، غلام بين كتفيه شامة ، كانت له الامامة ، ولكم به الزعامة ، الى يوم القيامة ، فقال له عبد المطلب ابيت اللعن لقد أتيت بخبر ما اتى بمثله وافد فلولا هيبة الملك وأجلاله واعظامه سألته من بشارتي اياه ما ازداد به سرورا قال ابن ذي يزن

هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد اسمه احمد يموت ابوه وامه ، ويكفله جده وعمه، قد ولدناه مرارا ، والله باعثه جهارا ، وجاعل منَّا له انصارا ، يعز بهم اولياءه ، ويذل بهم اعداءه ، يضرب بهم الناس عن عرض ، ويستفتح بهم كرائم الارض ، تكسر الاوثان ، وتخمد النيران ، ويعبد الرحمن ، ويدحر الشيطان ، قوله فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله ، قال عبد المطلب ايها الملك عز جدك ، وعلا عقبك ، وطاب ملكك وطال عمرك ، فهل الملك ساري بأفصاح ، فقد اوضح بعد الايضاح ، فقال ابن ذي يزن والبيت ذي الحجب ، والعاملات على النصب ، انك ياعبد المطلب لجده غير الكذب ، قال فخر عبد المطلب ساجدا فقال ابن ذي يزن ارفع رأسك ، ثلج صدرك ، وعلا امرك ، فهل احسست شيئا مما ذكرت لك « فقال نعم ايها الملك كان لي ابن وكنت به معجبا رفيقا فزوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف فأتت بغلام سميته محمدا مات ابوه وامه ، وكفلته انا وعمه ، بين كتفيه شامة ، وفيه كلما ذكرت من علامه ، قال ابن ذي يزن ان الذي قلت لك لكما قلت لك فاحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا (١)

اقول لامانع من ان يكون لدى سيف بن ذي يزن كتب سماويه تبشر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتبين صفاته ، وما يكون من امره

النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم (الى آخر نسبه الشريف من جهة امه وابيه) ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الاول (٢) وقيل يوم الجمعه في السابع عشر منه (٣) وفي رواية في الثامن منه (٤) وعلى قول في العاشر منه (٥) غير ان المشهور بين المؤرخين ، هو الاول ، ولعله يصح ان يكون عليه المعول . وكانت ولادته عليه افضل الصلاة والسلام عام الفيل وهو العام الذي جاء به ابرهة لهدم الكعبة فخاب مسعاه وهو احد ملوك الحبشة و كان ذلك سنة ٥٧١ للميلاد وقد مضت ثلاثون سنة وثمانية اشهر من سلطة كسرى انو شيروان قاتل مزدك والزنادقة وهو المراد بقوله صلى الله عليه (ولدت

(١) ملخص عن كتاب نيل الارب في احوال العرب (٢) على رواية كثير من المؤرخين وعليه اهل السنة من المسلمين (٣) على رواية بعض المؤرخين وعليه الشيعة من المسلمين (٤) روى ذلك ابو الفدا (٥) رواه المسعودي

في زمن الملك العادل) وقد توفي ابوه عبد الله وامه حامل به وتوفيت امه بعد ست سنين من ولادته وذلك انها قدمت الى المدينة لزيارة اخواله فلما رجعت الى مكة ماتت بالأبواء وهو مكان بين المدينة ومكة

وقد كفله جده عبد المطلب فتوفي وعمره ثماني سنين فتولى امره عمه ابو طالب وكان يحبه ويكرمه وينصره ويذود عنه الاعداء قبل البعثة وبعدها

نشأ صلى الله عليه وآله وسلم أميا لم يتعلم القراءة والكتابة ولم يدخل مكتبا ولا تخرج على استاذ ومع ذلك فكان كريم الخلق كبير النفس سمح الطبع متصف بروائع الصفات ، وعظيم المكرمات ، واول سفر سافره كان صحبة عمه ابي طالب الى الشام في تجارة ومذ رآه بحير الراهب اخبر من معه بأنه نبي ولما بلغ الخامسة والعشرين من سنيه عرضت عليه خديجة بنت خويلد ان تبعثه بتجارة لها الى الشام فأجابها الى ذلك واصحبته بغلامها ميسرة ولما عادا بربح وافر ، وخير جزيل ، اخبر ميسرة خديجة بما شاهده من مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وروائع صفاته فرغبت اليه ان يتزوج بها وكان بالغ سنها الأربعين فقبل ولم يتزوج مدة حياتها بغيرها وقد ولدت له جميع اولاده من ذكور واناث ماعدا ابراهيم فأنه من مارية القبطية

وكان ينفرد غالب اوقاته في مكان بشعاب مكة يسمى غار حراء يعبد الله سبحانه ويتفكر في حال قومه وانحطاطهم ولما بلغ الاربعين من سنيه وهو زمن تمام القوة والعقل هبط عليه الروح الامين جبرائيل يبلغه عن ربه ارساله للناس بشيرا ونذيرا فذكر النبي لخديجة ذلك فقالت له ابشر فأنت نبي هذه الامة وقد اخذ يدعو قومه سراً في بادىء امره فأول من آمن به ابو بكر رضي الله عنه من الرجال وعلي كرم الله وجهه (١) من الصبيان وخديجة رضي الله عنها من النساء

استمرَّ على دعوة قومه سرا وجهرا حتى آذوه فصبر ، واساءوا له فغفر ، (والله يحب المحسنين)

وبعد ١٣ عاما من بعثته هاجر الى المدينة المنورة وصحبته ابوبكر الصديق فأقاما بغار ثور ثلاثة ايام وقد تطلبته قريش فلم تقف له على اثر ثم توجه الى المدينة حتى نزل قبا في ثاني عشر ربيع الاول واقام هناك اربعة ايام ، فاسس مسجدا وهو اول مسجد أسس في الاسلام ، وآخى آنئذ بين اصحابه وجعل الأخاء بين المسلمين سنة

(١) قيل كرم الله وجهه لانه لم يسجد لصنم قط واجماع الشيعة على انه اول من آمن مطلقا

متبعة (في غير هذه الأيام) وكانت سراياه خمسا وثلاثين وغزواته سبعا وعشرين آخرها تبوك وكان النصر حليف المسلمين في اغلب المواقع

هكذا كانت حياة هذا الرسول العظيم، والنبي الكريم، فقد صدع بأمر ربه ودعا الناس الى الدين المبين تارة بالترغيب وطورا بالترهيب حتى ايده الله بنصر من عنده وكانت كلمة الله هي العليا وما نال ما نال الا لأنه صبر فظفر ونزل به القرآن (وانك لعلى خلق عظيم)

انزل الله سبحانه عليه ذاك الوحي السماوي والمعجز الآلهي الدائم مادامت السموات والارض بدليل ماجاء فيه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فكان احسن قانون سماوي جمع بين دفتيه مارقّ وراق، من معالي الاحكام ومكارم الاخلاق، واول مانزل عليه هذه الآية الكريمة (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم)

فأعظم منة امتنّ بها سبحانه على الانسان هي العلم والتعليم فالى العلم والتعليم معشر المسلمين ولا غرو فالعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وقيل ان اول آية نزلت (ياايها المدثر قم فانذر) واذا صحّ ذاك فاول امرٍ امر الله نبيه به هو الانذار وأي مطلب اعلى، وامر اولى، من انذار من ضلّ عن الصراط السوي؟ فالى الانذار الى الانذار الى الدعوة معشر الموحدين الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من اصول الدين

فصلى الله على هذا النبي العربي الذي اشرقت الارض يوم ولادته بنور ربها وانتقل العالم من دور الى دور، ومن طور الى طور، ومن ظلام الى نور، وهل يستوي الظل والحرور؟

حيا الله اقواما يعرفون قدره ويحتفلون بيوم ميلاده احتفالا خاليا من كل شائبة وهو مهما بلغ من الأبهة والعظمة يكون دون مقامـه، ولا يبلغ الواجب من تعظيمه واكرامه،

صلى الله على اشرف الخلق محمد الذي يقول به الشاعر

معقل الخائفين من كل خوف اوفر العرب ذمة اوفاها
ملك يحتوي ممالك فضل غير محدودة جهات علاها
او اعيرت من سلسبيل نداه كرة النار لاستحالت مياها.
هو ظل الله الذي لو أوتـه اهل وادي جهنم لحماها
علم تلحظ العوالم منه خير من حلَّ ارضها وسماها

ذاك ذو امرة على كل امر رتبة ليس غيره يوءتاها
ذاك اسخى يداً واشجع قلبا وكذا أشجع الورى اسخاها
ماتباهت عوالم العلم الا والى ذات أحمد منتهاها
اي خلق لله اعظم منها وهو الغاية التي استقصاها
قلب الخافقين ظهراً لبطن فرأى ذات احمد فاجتباها
لست انسى له منازل قدس قد بناها التقى فاعلى بناها

ولو اردنا الاحاطة بحياة رسول الله لاحتجنا الى مجلد ضخم ، وكتاب فخم ، بل الى عدة مجلدات وكتب ولو سردنا ماقاله عظماء الشرق والغرب في حقه الزم لذلك عدة محاضرات ، تلقى في شهور لافي ساعة او ساعات ، وحسبك ان العرب كانوا بذلك الأنحطاط الادبي والاخلاقي والاجتماعي فقلب حالهم ظهراً لبطن ومالبثت الدعوة الاسلامية ان عمّت الشرق والغرب وقبض خلفاء الاسلام على اعراف الامم ،ونواصي الشعوب واستولوا على املاك الاكاسرة والقياصرة ،وعنت لدعوتهم الملوك والجبابرة

كانت حياة هذا الرسول الكريم عبارة عن ثلاثة وستين عاما قضاها في جهاد وجلاد ، ودعوة وأرشاد ، وقد توفي في اليوم الثاني عشر او الثالث عشر من ربيع الاول بعد البعثة بثلاث وعشرين سنة

ان أمة رسولها هذا الرسول الأمين ، وخلفاوءها اولئك الخلفاء الراشدون ، لجديرة بكل رفعة وعلاء ، ولا بدع أذا ملكت مفاتيح الارض بل والسماء ، وما قولك في خليفة تستعير ابنته من بيت المال عقداً فيوبخ امين خزانته ، ويهم بعزله وقطع يد ابنته ، وفي خليفة يهدى له بساط كسرى ذاك البساط المرصع بالدر والجوهر فيقال له احفظه لنفسك فيقول لاآخذ حقا ليس لي وانما انا رجل من المسلمين فيقطعه اربا ويعطي كل ذي حق حقه

جاء الاسلام بالعدل والمساواة والحرية والاخاء تلك الكلمات الكبيرة التي تلوكها الألسن اليوم ولم نقف لها على اثر وذلك لأن المسلمين اعرضوا عن تعاليم دينهم ، ولم يسيروا بسيرة نبيهم وائمتهم ، بل رموا بتلك التعاليم النافعة عرض الجدار فكيف ينالون من الرقي مايأملون ؟امرهم قرآنهم ان يعدوا لخصومهم ومناوئيهم مااستطاعوا من قوة فأي قوة أعدوها ؟واي وصية من وصايا دينهم حفظوها ؟ هل حفظوا الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟هل حفظوا الزكاة التي تسد رمق الفقير البائس ؟

هل حفظوا الجمعة والجماعة وبها تعارفهم وشد اواصر تخائهم ؟ هل حفظوا اسرار الحج الذي وضع لحفظ جامعتهم ، هل حفظوا لغة دينهم ونبيهم؟هل أمروابالمعروف وائتمروا به ؟ هل نهوا عن المنكر وانتهوا عنه ؟ لاوربك كل ذلك لم يكن وهل ينتظرون من الله سبحانه ان ينصرهم ويثبت اقدامهم وهم بهذه الحال (والله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) هدانا الله واياكم الى الطريق القويم ، والصراط المستقيم ، وجعل لنا من امرنا فرجا ، ومن ضيقنا مخرجا ، انه ولي الاجابة ، وهو العالم بمواقع الاصابة ، وصلى الله على محمد وكرام آله وخيار الصحابه



الخط

٢



بعدأن شاعت الكتابة الهجائية واخذبها اكثر اصحاب اللغات تفنن كل قوم فيما يكتبون فكانت صور الحروف مختلفة الاشكال بين لغة ولغة حتى لقد وقع الاختلاف بين الاصل والفرع كما هو الحال في الخط الهيراتي المصري والخط الفينيقي مع ان الاول اصل الثاني كما تقدمت الاشارة اليه فكان من ذلك الخط الفينيقي والمسماري والهيراتي المصري والسنسكريتي الهندي والصيني والحبشي وبعض هذه الخطوط مقطعي لاهجائي وكان من ذلك ايضا الخط العربي بقسميه الحميري والكوفي والعبراني القديم وهو السامري والعبراني الحديث والسرياني الشرقي والكلداني واليوناني واللاتيني

اختلفت لغات الناس وهي ترجع الى ثلاثة اصول السامي والآري والطوراني فمن اللغات السامية العربية واخواتها العبرانية والسريانية والكلدانية من اللغات المعروفة والفينيقية والاشورية والارامية والنبطية والحميرية من اللغات المندرسة

ومن اللغات الآرية الهندية والفارسية واليونانية والفرنسية واكثر لغات اوروبا

ومن الطورانية بل هي اشهر فروعه التركية التي بدلت الفاظها وامحت رسومها القديمة الا شكلها في السبك والجمل حيث بقي هذا الشكل حاملا هذا الاسم

اختلفت هذه اللغات فاختلفت رسومها الخطية وحروفها الهجائية

وليس اتحاد اللغتين في اصلهما موجبا لاتحاد الشكل في حروفهما بل قد تختلف اللغات في الاصل وتتحد في الكتابة وقد تتحد في الاصل وتختلف في الكتابة وان الاشوريين ولغتهم سامية قد اخذوا خطهم عن الكاديين وهم طورانيون بل ان اللغة العربية نفسها قد اختلف خطها بين مسند حمير في جنوبي بلاد العرب والشكل الكوفي في شماليها وبين الخطين اختلاف ظاهر لمن عرفهما

وان اللغات التي دخل اهلها في الاسلام واتخذوه دينا قد غير ابناؤها شكل كتابتهم واتبعوا فيها الرسم العربي وان كانت لغاتهم بعيدا اصلها عن اصل اللغة العربية كاللغة التركية الطورانية واللغة الفارسية الآرية فانهما تكتبان بالحروف العربية كما لا يخفى

ان الاختلاف البعيد الشقة بين اشكال الحروف الهجائية في الكتابة على اختلاف انواعها يذهب بالفكر الى استبعاد اتحاد اصله ولذلك اكثر الباحثون من التنقيب وافرغوا الوسع في التحقيق فلم يقف بهم البحث على ما تطمئن اليه النفس من وحدة الاصل أو اختلافه في جميعها ولكنهم على ما يظهر كانوا يميلون الى اتحاد الاصل سيما في اللغات الحية اليوم وغاية ما اوردوه من الادلة على ذلك ان اسماء الحروف تكاد تكون واحدة مع اختلاف يسير ففي اللغة العربية الف باء . جيم . دال . وفي العبرانية والسامرية آلف بيث . غامل . دالث . وفي السريانية آلاف . بيث . جيمل . دالث وفي الحبشية الف . بيت . جمل . دن وفي اليونانية الفا . ڤيتا . غمّا . ذلتا وهكذا ومن ادلتهم ان ترتيب الحروف يكاد يكون واحدا في هذه اللغات فالالف اول الحروف ثم الباء ثم الجيم ثم الدال وهكذا

ومن ادلتهم ان طائفة من هذه اللغات مع اختلاف اصلها تجد قوة الحروف فيها تكاد تكون واحدة والمراد بقوة الحروف قوتها العددية او الحساب المعروف بحساب الجمَّل فهو في السرياني والعربي واحد وفي اليوناني كذلك مع اختلاف يسير يماثله لاختلاف الجمَّل في اللغة العربية بين المشارقة والمغاربة

وقد وصل القول باتحاد اصل الخط في اللغات كلها الى حدّ ذهب فيه احد الباحثين الفرنسيين الى التصريح بوحدة الاصل بين الحروف المصرية والحروف الصينية لانه رأى شبهاً بين حروف اللغتين

وقد نسب اصل الخط بعض علماء العرب في القرون الوسطى الى واضع واحد وهو آدم عليه السلام وانه كتب الحروف في طين وطبخها فلما اظل الارض الغرق

اصاب كل قوم كتابتهم وبعضهم جعل الواضع الاول لها ادريس عليه السلام وهناك اقوال على هذا النمط غريبة لا تشم رائحة التحقيق والله اعلم

كيف نشأ الخط العربي

للعرب تمدن قديم عـرفوا به في الزمن القديم ولم يذكر مورخونا القدماء اخباره وانما عرفتنا به مباحث الاثريين في آثار العربية السعيدة وكانت زهرة هـذا التمدن في بلاد العرب الجنوبية كاليمن وحضرموت وما اليهما وكانت ديار المعنيين مقر ملك عظيم للعرب ومركز تمدن لهم معروف و كانت مملكة تسرى العربية لها المركز الاول تحت قيادة سيبي او (صيفي) في الحلقة التي عقدت على خلع طاعة الاشوريين (لما توفي تغلت فلاسر الثاني مكتسح بلاد العرب بجنوده ومخضعها لسلطانه وتولى سرجون في سنة ١٣٤٢ قبل الهجرة النبوية) وقام بالثورة يومئذ ملك حماه وملك غزه والقائد العربي سيبي هذا وقامت لهم في الجنوب الغربي من جزيرتهم مملكة عظيمة تعرف بمملكة سبأ وهي التي كان ممن ولي امرها بلقيس التي اسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقيل ان منها ذا القرنين الحميري الذي قيل ان فتوحاته امتدت الى ماوراء فارس على ما اخرجه بعض الرواة وما زالت آثار الحميريين ناطقة بعظيم مجدهم وشديد حولهم وقديم عزهم حتى شبه على بعض العلماء فظن ان ابناء فينيقية اخذوا كتابتهم عن الحميرية وان الحميرية كانت اقدم من الفينيقية

وكان العرب اليمانيون يومئذ اهل تجارة وكسب يضربون في الارض التي دانت لملكهم وفي غيرها ووجدت آثارهم مكتوبة بالخط الحميري في تيماء وهي الى الشمال مع ميلة الى الشرق عن المحل المعروف بمداين صالح بين الحجاز والشام وشرقي تبوك واتصلت تجارتهم مع صور الفينيقية يوم كانت سلطانة البحار فكانوا بذلك امس الناس حاجة الى الكتابة وكان عندهم الخط المسند المعروف بالحميري ويسميه الافرنج بالسبائي نسبة الى مملكة سبا وهو يشبه الفينيقي كما سبقت الاشارة اليه ولكنه احسن هنداماً وابدع شكلا وذلك من ادلة فرعيته عنه

واتصل العرب الشماليون بالاراميين والكلـدان ومنهم السريان فاقتبسوا من معارفهم الكتابة السريانيه ثم اتخذوا منها الشكل العربي المعروف اليـوم بالكوفي وهو لدى الناظر المدقق يكاد يكون كالخط السرياني الشرقي شكلا اولا اختلاف يمكن معه رده الى اصله . وان بين الكتابة السريانية والكتابة الكوفية من الشبه

ما هو اظهر واقرب مما بين الكتابتين العربيتين الحميرية والكوفية

ولم ار اختلافا يعتد به في اقوال الباحثين من حيث نسبة الكوفي الى السرياني الشرقي (الكلداني) ومن حيث نسبة الحميري الى الفينيقي ولكن في النسبة بين السرياني والفينيقي وقع الخلاف وذهب جماعة الى أنهما من اصلين مختلفين فالسرياني ينسب الى السماري والفينيقي الى الهيروغايفي ولم يعلم اشتراك هذين الاصلين في المنشأ الا من حيث اتحاد ابجديتهما ووحدة اسماء الحروف في اللغتين كما تقدم البحث فيه وذلك لم يقنع كثيرا من الباحثين فذهب بعضهم الى تباين الاصلين

اما اتصال الخط بالعرب الحميريين فقد جلبته اليهم تجارتهم مع الفينيقيين ثم دخل فيه التغيير والتبديل بكثرة الاستعمال بحيث اصبح كتابة قائمة بنفسها سميت حميرية وعمَّ استعمالها بلاد العرب الجنوبية وان شئت قل اليمنية وبلغ هذا الخط في دولة التبابعة مبلغ الاتقان قال العلامة ابن خلدون المغربي في مقدمته «وقد كان الخط العربي بالغا مبالغه من الاحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحميري »

وقد ذهب بعض علماء السريان الى القول بنسبة الخط الحميري الى السرياني فان اراد بالسريان ما يعم الكنعانيين الذين منهم الفينيقيون فلكلامه وجه ولكنه أغرب في التسمية وخالف فيها وان اراد بالسريان الامة السريانية الشرقية المعروفة بالكلدان فقد خالف بذلك جمهور الباحثين

واما اتصال الخط الكوفي (هو المسمى قبل الكوفة بخط الجزم) بالعرب الشماليين فقد اختلف في اصله فذهب ابن خلدون وتبعه كثير من علماء العرب الى انه اشتق من الحميري قال في المقدمة

وانتقل (أي الخط) منها (اي من دولة التبابعة) الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بارض العراق ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور مابين الدولتين وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه اهل الطائف وقريش الى ان قال فالقول بان اهل الحجاز انما لقنوها من الحيرة ولقنها اهل الحيرة من التبابعة وحمير هو الاليق من الاقوال وكان لحمير كتابة تسمى المسند حروفها منفصلة وكانوا يمنعون من تعلمها الاباذنهم ومن حمير تعلمت مضر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا

مجيدين لها شان الصنائع اذا وقعت بالبدو » وقال غيره « ان سبب تسمية الخط الكوفي بخط الجزم قبل وجود الكوفة لانه جزم اي اقتطع وولد من المسند الحميري ومرامر هو الذي اقتطعه »

والذي عليه المحققون اليوم ان الخط العربي المعروف اليوم ومثله الكوفي اخذا من الخط السرياني وادلتهم في ذلك كثيرة منها تقارب اشكال الحروف بين الخطين ومنها اتحاد الابجدية في اللغتين ومنها القوة العددية اي حساب الجمل فهو في اللغتين متشابه ومنها اتحاد اسماء الحروف في اللغتين كالالف والجيم والدال والزاي والشين والصاد والضاد وغيرها وفي هذه الحروف ما طرأ على تسميته تغيير قليل كالزاي بدل الزين والعامة لم تغيره والجيم بدل جيمل او جومال والدال بدل دالت او دولاث والصاد بدل صادي ومنها ان كل حرفين يلفظان من مخرج واحد يتشابه رسمها في العربية وفي السريانية كالصاد والضاد والطاء والظاء ولكن بعض هذه الحروف التي تشابه في الخط ذات القرب منها في المخرج غير موجودة في السريانية وانما احتاجوا اليها في خطهم المعروف بالكارشوني وهو ما كان لفظه عربيا ورسمه سريانيا

فجعلوا للحروف التي لا توجد في السريانية علامات خاصة بان اتخذوا شكل ما كان قريبا منها في المخرج ووضعوا عليه نقطة لتنوب مناب تلك الحروف كالدال والذال فجعلوا للثاني نقطة من اعلاه والكاف والخاء فللكاف نقطة عليا وللخاء نقطة سفلى وكذلك الطاء والظاء والصاد والضاد فهل جرى السريان هذا المجرى بعد معرفتهم العربية ليدلوا على حروفها التي عريت منها لغتهم فيكونون قد اخذوا اصطلاح النقط فيها عن العرب فلا يتم حينئذ هذا الدليل ؟ ام ان ذلك اصطلاح عندهم سابق على معرفتهم العربية جروا فيه مع غيرها ثم اجروه فيها ويكون العرب اتخذوا نهجهم في ذلك الرسم ؟ امر موجب للنظر والتأمل . .

ومن ادلتهم على تفرع خطنا العربي عن السرياني ان الخط السرياني تكتب حروفه متصلة فللحرف ثلاثة اشكال في اول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها وكذلك الخط العربي بخلاف الحميري والعبراني على ان السريانيين اعرق في الاتصال حتى انهم يحذفون الالف إذا جيء به حرف مد في حشو الكلمة وتبعهم العرب في بعض ذلك فاوجبوا حذف الالف من هذا وهؤلاء ولكن . ومن ادلتهم ان كل الحروف التي تنفصل في السريانية عما بعدها كالراء والواو والالف والدال هي كذلك في العربية

هذا مجمل مما ذكره الباحثون في ترجيح اصالة السريانية للخط العربي المعروف بالكوفي وهذه الادلة لا تتم في الخط الحميري اما في اسماء الحروف فلم يدلنا التاريخ على كيفية اسمائها عند التبابعة بل اغفل التاريخ العربي شكلها ورسمها وغاية ما وصفها ابن خلدون بانها حروف منفصلة حتى قام علماء الآثار في العصر الاخير واستعانوا بالخط الحبشي القريب الشكل من الحميري على حل رموز هذا الخط وقراءته. ولم اعلم انهم وقفوا له على كتب تعليمية هجائية كما اتفق لهم في الخط البابلي فلذلك لا يمكن لنا البحث في هذا الامر

واما اشكال الحروف فبعد ما بين الخطين ظاهر لمن عرفهما وليس فيهما ادنى مشابهة واما تشابه الحروف اذا كانت من مخرج واحد فذلك لا اراه في الخط الحميري وانك تجد في الحميري الفرق ما بين رسم الباء التي هي من حروف الشفة ورسم الغين الذي هو من حروف الحلق القصوى ما هو اقل بعدا من بين رسم التاء والثاء اللتين هما من حروف الوسط ومخرجها يكاد يكون متحدا وكذلك الصاد والضاد والطاء والظاء ثم ان الخط الحميري يكتب منفصلا كله وليس فيه اتصال كما هو ظاهر لمن عرفه وكما نص عليه ابن خلدون فيما تقدم بيانه فليس بينه وبين الخط العربي من هذه الحيثية ادنى نسبة ولكن السرياني ليس كذلك بل هو كالعربي في الاتصال والانفصال

احمد رضا

* * * *

الزمان

لاتعظني بالزمان معرفة — قد ضاق بي مرة وقد رحبا
اي خطوب لم تشفني عظة — واي دهر لم افنه عجبا
ساعات لهو تمر مسرعة — عنا وتبقي العناء والتعبا
لا تطمع النفس ان تمتع بالآ — تي ولا تسترد ما ذهبا
وكل حي منا يجاذب حبـ — ـل العمر ايامه لو انجذبا
وكيف يرجو الحياة منتقص — يغرم منها ضعف الذي كسبا

السيد المرتضى

مختارات ادبية واخلاقية

آداب اللغة العربية



عود على بدء

الاختيار

ليس للاختيار حد يرجع اليه الادباء في تشخيص معناه وانما هو امر مرجعه الى الذوق وبعبارة اخرى ان الاختيار المحمود هو ماتأنس له نفوس سليمي الفطرة صحيحي النظر واوضح من هذا ان يكون مماتألفه طباع اهل العرف ان لم يكن كلهم فجلهم

ان الافهام لتتفاوت في الاختيار وفيه يتفاوت الادباء وهو ميزان التفاضل بينهم ومنه يعلم رجحان اديب على اديب

وفي حسن الاختيار علا قدر كثير من رجال التأليف وان لم يوءتوا ما أوتي غيرهم من علم ومعرفة من الذين لم يرزقوا نصيبا من حسن الاختيار

لم تنصرف الرغبات الى مفضليات الضبي وهو من ائمة الادب انصرافها الى مختارات حبيب الطائي (ابي تمام) في حماسته ولا ادركت المفضليات شأو الحماسة من حيث العناية بشرحها واستظهار الادباء والمتأدبين لمتنها واتخاذها مثابة يرجعون اليها في تقرير كثير من القواعد النحوية والبيانية

ولا غرو ان التفاضل بين الكتابين واحلال ثانيهما محلا في النفوس ليس للاول راجع الى مافي الثاني من مزية حسن في الاختيار لم يضرب الاول منها بعرق عريق

ولقائل ان تهافت القوم على حماسة حبيب دون مفضليات الضبي ليس مبنيا على ذهاب الاول بفضل الاختيار دون الثاني

وانما منشأ ذلك التهافت هو تفاوت مابين عصري الضبي وحبيب . اختار الاول مايلائم روح عصره والنفوس لما تنزع الى رقة الحواضر ، ولافشا التأدب فيه والتظرف نشوءها في عصر الثاني

فكانت نفوس القوم ولا ريب في عصر الضبي اميل للفخامة والجزالة ، واعلق باذيال القوة والصلابة ، وابعد عن التعمل والصناعة اللذين هما من آثار الاستبحار في العمران ، والانغماس في الحضارة ، والتأنق في المعاش

ولم تكن لتعاف نفوس معاصريه من الحوشي والوحشي والغريب ماتعافه نفوس معاصري حبيب ، والقوم في بلهنية من العيش ، وظل من نعيم المدنية ظليل ، والاخلاق قد تهذبت ، والطباع تشذبت ، ولم يطرب المسامع الا ماخلص من قيود التعقيد ، ولم يحرك اوتار القلوب من الكلام الا ما كثر وشيه ، وسهل لفظه واحكم نسجه ،

تلك المميزات التي اتصف بها عصر الضبي وحبيب هي التي جعلت مستوى اختيارهما مختلفا ، فلم يجتمعا فيه بصعيد واحد ، ولا مشاحة ان للالف والعادة مدخلا في اختلاف صوغ الكلام ، وبعد فانه يستمد اساليبه من اساليب المألوف والمعتاد في كل عصر ، وذلك بديهي المتتبع والباحث

والجواب ان هذا يتم اذاسلم ان المعاصرين للضبي كان من عادتهم الالف الى كل مختارات الضبي على عجرها وبجرها وغثها وسمينها وان الميل الى مافخم لفظه ، وصلب مبناه ، وعدم نبو اسماع معاصريه عن الحوشي والوحشي والغريب مما يوجد الكثير منه في مفضلياته هما من مميزات عصره ولئن سلم في الفخم من الالفاظ وجزلها فلا يكاد يسلم قط في الوحشي والحوشي والغريب ليس في عصر الضبي فقط بل فيه وفي العصور التي تقدمته جاهلية واسلاما

وهل ترك القرآن الكريم في اساليبه العالية ، وانتقائه شريف الكلام ، وتمحيصه اللغة تمحيصا لم يدع فراغا لما خالف تراكيبه من مخشوشن الالفاظ وثقيلها الا في معاجم اللغة هل ترك ذلك الكتاب العظيم الذي جاء بالصفوة واللباب المحض مما جعله نهاية الاعجاز ومنع مصاقع الخطباء والبلغاء عن تحديه في كل اسلوب من اساليبه الرفيعة وجعل له الهيمنة عليهم هل ترك المخشن والثقيل مألفا في الاسماع وهو الذي غير اوضاع الكلام وافرغ اللغة في قالب المألوف والمأنوس ليس لعصر نزوله ورجال عصره فقط بل لرجال كل عصر ، وبلغاء كل دهر على ان روحه العالية قد سرت في كل كلام عربي منظوما كان او منثورا وكان المثابة للادباء ، والورد المعين للقرائح ، والمستودع والمستقر للفصيح من اللغة ، والمادة للفنون الادبية التي لاينضب ماؤها ، ولا يرنق صفاؤها ، بل منبع العلوم الاسلامية باسرها

واذا استقرأنا حالات العرب الادبية في جاهليتهم ، وهم يقيمون معارض الادب

ويتنافسون البلاغة في اسواقها، تراهم لم يتجاوزوا في المتخير مما يختارون مايصح ان يدرج في سجل مختارات كل عصر مهما بلغ من الاستبحار في العمران والمدنية

قال ابن عباس (رض) في كلام له مع عمر بن الخطاب (رض) هل تروي لشاعر الشعراء، قلت ومن هو قال الذي يقول

ولو ان حمدا يخلد الناس خلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت ذاك زهير بن ابي سلمى قال هو شاعر الشعراء، قلت وبم كان شاعر الشعراء، قال لانه كان لايعاظل في الكلام، وكان يتجنب وحشي الشعر، وكان لايمدح احدا الا بما هو فيه

برّز السموءل بن عادياء على الشعراء وهو ابن قصيدة واحدة وماذاك الا لما حوته من محكم النسج، وتناسب السرد، ومتخير اللفظ

والمعلقات السبع لم تدرج في اول جريدة الاختيار، وتدرك اعلى شأو في الحفظ والاستظهار، ويتنافس فيها ادباء كل الاعصار والامصار، الا لذهابها برواء الشعر الجاهلي، واستئثار اكثرها بالمتخير من الالفاظ

قال الجرجاني في (الوساطة) وقد كان القوم يختلفون في ذلك (اي في رقة الشعر وجفائه، وتتباين فيه احوالهم فيرق شعر احدهم، ويصلب شعر الآخر، ويسهل لفظ احدهم، ويتوعر منطق غيره، وانما ذلك بحسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق، فان سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام، بقدر دماثة الخلقة

« وانت تجد ذلك ظاهرا في اهل عصرك، وابناء زمانك وترى الجافي الجلف منهم كز الالفاظ، معقد الكلام، وعر الخطاب، حتى انك ربما وجدت الفاظه في صورته ونغمته، وفي جرسه ولهجته، ومن شأن البداوة ان تحدث بعض ذلك، ولاجله قال النبي صلى الله عليه وسلم من بدا جفا

«ولذلك تجد شعر عدي وهو جاهلي اسلس من شعر الفرزدق ورجز روبة، وهما آهلان لملازمة عدي الحاضرة وايطانه الريف، وبعده عن جلافة البدو، وجفاء الاعراب، وترى رقة الشعر اكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيم، والغزل المتهالك، فان اتفقت لك الدماثة والصبابة، وانضاف الطبع الى الغزل فقد جمعت لك الرقة من اطرافها

« فلما ضرب الاسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر، ونزعت البوادي الى القرى، وفشا التأدب والتظرف، اختار الناس من الكلام الينه واسهله، وعمدوا الى كل شيء ذي اسماء كثيرة، اختاروا احسنها سمعا والطفها من القلب

موقعا ، والى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على اسلسها واشرفها ، كما رأيتهم يختصرون الطويل ، فانهم وجدوا للعرب فيه نحوا من ستين لفظة اكثرها بشع شنع كالعشنط والعنطنط والعشنق والجرشب والشوقب والسهلب والشوذب والطاط والطوط والقاق والقوق فنبذوا جميع ذلك وتركوه واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان ، وقلة نبو السمع عنه وتجاوزوا الحد في طلب التسهيل حتى تسمحوا ببعض اللحن وحتى خالطتهم الركاكة والعجمة ، واعانهم على ذلك لين الحضارة ، وسهولة طباع الاخلاق ، فانتقلت العادة وتغير الرسم ، وانتسخت هذه السنة واحتذوا بشعرهم هذا المثال ، وترققوا ما امكن ، وكسوا معانيهم الطف ماسنح من الالفاظ ، فصارت اذا قيست بذلك الكلام الاول يتبين فيها اللين فيظن ضعفا ، فاذا افرد عاد ذلك اللين صفاء ورونقا وصار ماتخيلته ضعفا ، رشاقة ولطفا

« فان رام احدهم الاغراب والاقتداء بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض مايرومه الا باشد تكلف ، واتم تصنع ، ومع التكلف المقت ، وللنفس عن التصنع نفرة ، وفي مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق ، واخلاق الديباجة ، وربما كان ذلك سببا لطمس المحاسن كالذي نجده كثيرا في شعر ابي تمام فانه حاول من بين المحدثين الاقتداء بالاوائل في كثير من الفاظه فحصل منه على توعير اللفظ ، وتبجح في غير موضع من شعره فقال

فكأنما هي في السماع جنادل وكأنما هي في القلوب كواكب

فتعسف ماامكن ، وتغلغل في التعصب كيف قدر ، ثم لم يرض بذلك حتى اضاف اليه طلب البديع فتحمله من كل وجه وتوصل اليه بكل سبب ، ولم يرض بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعاني الغامضة ، وقصد الاغراض الخفية ، فاحتمل فيها كل غث ثقيل ، وارصد لها الافكار بكل سبيل ، فصار هذا الجنس من شعره اذا قرع السمع لم يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر ، وكد الخاطر ، والحمل على القريحة فان ظفر فيه من بعد العناء والمشقة وحين حسر الاعياء واوهن قوته الكلال وتلك حال لا تهش فيها النفس للاستماع بحسن ، او الالتذاذ بمستطرف وهذه جريرة التكلف

ترى عجبا من امر ابي تمام فهو لم يرض وهو في موقف اختيار شعر غيره ان يأتي الا بالمختار ويرضى لبنات أفكاره ، والسائر من أشعاره (والمرء مفتون بشعره) ان يحشوه بالكلام المعقد ، ويأتي فيه بغير المتخير من الالفاظ

واذا راعى وهو في مقام الاختيار روح عصره فلم لم يراع روح العصر في انفس شيء عنده ، واحقه بالرعاية وهو شعره

ان كثيرا ممن يتلهى بالشهرة عن مماشاة مواهبه الخاصة ، وتحكيم ذوقه ، وقد يصرفه عن مراعاة ميول الناس علمه برواج كل مايكدُّ به خاطره ، وما يحمله اليهم من المعاني في اي قالب افرغ

والاغراب خلق في النوابغ وقد قيل ان النبوغ انحراف في الفطرة

لم يختلف الوسط والعصر اللذان وجد فيهما ابو تمام والبحتري ولكن الثاني لم يسلك سبيل الاول في الاختيار فجاء بما اختلب فيه العقول من الكلام الموشى ، والمملوء ماء ورواء والذائب رقة وصفاء ، وهو وان لم يجار ابا تمام في حلبة المعاني ، فقد فاته في التخير من الالفاظ كما لم يدرك شأوه فيها المتأخرون عنه كأبي الطيب المتنبي وهو الذي شهد له بالشعروالانفرادفيهدونهودون قريعهابي تمامخرّيت الصناعة فقال انا وابو تمام حكيمان والشاعر البحتري وتلكولاريب شهادةعريق في الادب وهل الشعر الا ماهز شعور النفس ، وحرك اوتار القلبوانذلكمنمزاياشعرالبحتري

ولا يؤخذ من كلامنا هذا أننا ممن يحاول ان يقف موقف تفضيله عليهما،وليس لبحثنا علاقة في هذا الامر الذي لانتهجم عليه ولا عقدنا له هذا المقال

واني لنا نقف موقف التفضيل ومثل الجرجاني على علو كعبه في الادب ،ورسوخ قدمه في النقد ، وسعة اطلاعه على شعر الثلاثة يستدرك كلامه الذي نقلناه عنه آنفابقوله

ولست اقول هذا غضامن أبي تمام ولا تهجينا لشعره ،ولا عصبية عليه لغيره ، فكيف وانا ادين بتفضيله وتقديمه ، وانتحل موالاته وتعظيمه ، واراه قبلة اصحاب المعاني ،وقدوة اهل البديع ،ولكن ماسمعتني اشترطه في صدر هذه الرسالة ، (الوساطة) انه يحظر الاتباع الحق ،وتحري العدل والحكم به لي او عليّ ،وماعدوت في هذا الفصل قضية ابي تمام ،ولا خرجت عن شرطه أن يقول في يوسف السراج شاعر مصر في وقته

فلو نبش المقابر عن زهير ... لعوّل بالبكاء وبالنحيب
متى كانت معانيه عيالا ... على تفسير بقراط الطبيب
وكيف ولم يزل للشعر ماء ... يرفُّ عليه ريحان القلوب

فخبرني هل تعرف شعرا احوج الى تفسير بقراط وتأويل ارسطوطاليس من قوله
جهمية الاوصاف الا انهم ... قد لقبوها جوهر الاشياء

قال ابو هلال الحسن العسكري «ولما ما يستبهم فلا يعرف معناه الا بالتوهم مثل قول ابي تمام

جهمية الاوصاف البيت

فوجه الاشتراك في هذا ان لجهم مذاهب كثيرة ، وآراء مختلفة متشعبة ، لم يدل فحوى كلام ابي تمام على شيء منها ،يصلح ان يشبه به الخمر وينسب اليه، الا ان يتوهم المتوهم فيقول انما اراد كذا وكذا من مذاهب جهم من غير ان يدل الكلام منه على شيء بعينه ولا يعرف معنى قوله «قد لقبوها جوهر الاشياء» الا بالتوهم وجملة القول فان استواء الناس في تفضيل اللفظ المشرق والمبنى المونق ،والمهذب من الكلام الذي هذبه التداول وكثرة الاستعمال على ما يخالف ذلك مما لا مجال للمكابرة فيه وانكاره

اخذ الرواة على زهير قوله

نقيّ تقي لم يكثر غنيمة بنهكة ذي القربى ولا بحقلد

فاستبشعوا الحقلد وهو السيء الخلق ،وقالوا كما رواه في الصناعتين ليس في لفظ زهير انكر منه

ولئن اعوزت زهير القافية فلجأ إلى هذه الكلمة الثقيلة المستكرهة وامكن ان يكون في ذلك له بعض العذر وهي كل ما أنكر عليه الرواة من استعمال اللفظ الثقيل فهل تجد عذرا لعمر بن احمر احد شعراء (الشعر والشعراء) لابن قتيبة في قوله وكان قد رماه رجل اسمه مخشي فذهبت عينه

شلت انامل مخشي فلا جبرت ولا استعان بضاحي كفه ابدا

اهوى لها مشقصا حشرا فشبرقها وكنت ادعو قذاها الاثمد القردا

فاذلك تراه اتى بلفظ شبرقها ومعناه مزقها وهو لفظ مستكره غليظ وفي وضع مزقها موضعه اقامة وزن البيت وعدم الاخلال بمعناه

ولكن حب الاغراب كما اسلفنا سجية بعض النفوس ، والمستكره مستكره من طبيعته ،والقبيح قبيح في جبلته ، ولا مدخل للعصر في التهجين والتزيين اي في قلب صورة من الصور الى ضدها ولا غرو فان الحقائق لا تتبدل ولله في خلقه شؤون وعادات

سليمان ظاهر

* * * *

معرض المشاهير

حياة دارون

٢

كانت المدرسة التي كنت فيها تعتني اعتناء زائدا في حفظ المثائل غيبا اي باستظهارها وكنت اتمم هذا الواجب بسهولة فائقة واحفظ اربعين او خمسين سطرا من اشعار هوميرس (١) اثناء صلاة الصباح وكانت هذه الطريقة عقيمة الجدوى لأني كنت أنسى ما احفظه بعد مضي ٤٨ ساعة لم اكن كسلانا في تحصيلي بل كنت اشتغل بجد وحزم ونشاط وعزم شديد الاعتماد على نفسي الا في نظم الاشعار فإنني كنت استعين برفاقي . ولم يبق لي من كل ماتعلمته الا فاجعة هوراس (٢) التي كنت اعجب بها اعجابا فائقا حينما تركت المدرسة كنت نظرا لسني في الدرجة الوسطى في صفي ولكن والدي ومعلمي ظنا بانني دون الدرجة الاعتيادية بالفهم حتى ان والدي قال لي مرة العبارات الآتية لاذلال نفسي : «انت لاتهتم إلا بالصيد والكلاب ولقط الجراذين وستكون عاراً على نفسك واسرتك واني متيقن ان والدي الذي احبه حبا جما واتذكر ايامه بالخير واعتقد انه الطف من عرفت لم يتكلم هذا الكلام الا عن غيظ وحنق ولم يكن منصفاً بما قال . حينما أتطلع الى ماضي صفاتي اجد ان الصفات الوحيدة التي كان لها اليد الكبرى والاهمية العظمى في تكييف مستقبلي واعداده هي اميالي الشديدة ورغبتي الزائدة في فهم غوامض المسائل وحل مستصعبها . درست اقليدس (٣) على معلم خاص وانني اتذكر جيدا البراهين الهندسية الساطعة التي كنت ارتاح اليها تمام الارتياح وكذلك اذكر السرور الذي كان يخالجني عند مايوضح لي عمي قوانين قياس

(١) هو الشاعر اليوناني الشهير ناظم الالياذة التي تمثل احوال اليونان الاجتماعية وقد نقلها الى العربية العلامة الشهير سليمان افندي البستاني (٢) هو اسم لرواية شعرية باللغة الافرنسية وهي رواية مفجعة للشاعر الفرنساوي الشهير كرني (Corneille) مؤلف السيد وغيرها من اشهر الروايات الشعرية باللغة الافرنسية

(٣) هو كتاب في اوليات الهندسة لمؤلفه اقليدس الفيلسوف اليوناني الشهير الذي عاش بالاسكندرية

ميزان الهواء (البارمتر) وفضلا عن ميلي الى العلوم كنت شديد الولع بمطالعة الكتب التي تبحث عن مواضيع شتى فكنت اقضي الساعات الطويلة قاعداً إمام نافذة المدرسة القديمة وبين جدرانها (اي المدرسة) الكثيفة اطالع روايات شكسبير واشعار طمسن وبيرن وسكوت (١) ولكن يا للأسف نسيت فيما بعد كل ما تعلمته من انواع الشعر حتى شكسبير وبمناسبة حبي الشعر اقول انه في سنة ١٨٢٢ اثناء سياحتي في ويلس (٢) اثرت علي مناظرها الجميلة فاحيت ما اندثر في من القوى الشعرية وقد دامت هذه اللذة في أكثر من اللذات التي تمتعت بها فيما قبل وقد أحسن والدي صنعا اذ نقلني من المدرسة التي كنت فيها لأني لم استفد بها علما وأرسلني في تشرين اول سنة ١٨٢٥ لجامعة ادمبرج مع اخي الذي كان يتمم علومه الطبية فيها على انه لم يكن عازما على ممارسة الطب فبقيت فيها مدة سنتين ادرس الطب ولكني بعد ذلك تأكدت أن والدي سيترك لي ثروة طائلة تكفيني مؤونة هذه المهنة وتجعلني أعيش عيشة راضية ولم اتصور قط انني أحصل على الثراء الذي انا عليه الآن فاتكالي على ثروة والدي كان كافيا لأن يثبط عزيمتي عن درس الطب

كانت طريقة التدريس بالمحاضرات وهذه المحاضرات كانت في غاية البلادة عدا محاضرة الكيميا واني لا ارى فائدة من المحاضرات بل عندي ان المطالعة افيد منها واصلح وانني اضطرب عند ما أذكر محاضرات استاذ علم العقارات في الايام الممطرة اما محاضرات استاذ التشريح فكانت مثله في البلادة وكنت ابغضها بغضا شديداً ومن البلية انني لم احث على ممارسة هذا الفن لتزول عني كراهته كنت اعلم ان ممارستي له لا تعود علي بنفع في مستقبل اشغالي فكانت هذه بلية عظمى ومثلها عدم ميلي للرسم وكنت اتردد الى المستشفي لمعاينة المرضى وقد راعني منظر بعض الحوادث التي لا تزال صورتها المخيفة منطبعة امام مخيلتي ولم اكن ابلهاً بهذه الدرجة حتى اجعل هذا الامر يثنيني عن الحضور الى المستشفى وانني لا اعلم سبب عدم ميلي لهذا الفرع من دروسي الطبية ففي الصيف قبل حضوري للمدرسة كنت اعاين بعض المرضى من الفقراء من رجال ونساء فكنت آخذ شروحا مسهبة عنهم وعن العلامات التي تظهر فيهم واعرضها على والدي الذي كان يزيدني علماً فيها ويرشدني لوصف الدواء الذي كنت اصنعه بيدي ولم يكن عندي في الوقت الواحد اقل من اثني عشر مريضاً

(١) هم اشهر شعراء الانكليز (٢) اسم محل في انكلترا

الامر الذي جعلني ان اهتم للشغل غاية الاهتمام حتى ان والدي الذي كان من مهرة الواقفين على اطباع البشر ومن خيرة الناقدين لها صرّح لي بأنني ساكون طبيباً فالحاً عانياً بذلك ان المرضى ستتهافت عليّ وتفد اليّ وقد بين لي ان اس النجاح هو اكتساب الثقة ولكنني لا اعلم الشيء الذي رآه فيّ لاكتساب الثقة · حضرت مرة في احد المستشفيات اجراء عمليتين عملية منهما اولد ولكنني هربت قبل ان تتما ولم احضر ثانية عمليات غيرهما اذ ما من جاذب يجذبني الذلك وقد حدث هذا الامر قبل ايام البنج السعيدة وهاتان العمليتان اثرتا فيّ تأثيراً بليغاً دام فعله وقتاً طويلا (١)

شريف عسيران

****

حديث عن القوارير

امرء القيس والمراة

ان امرأ القيس كان آلى الية ان لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنتين فجعل يخطب النساء. فاذا سألهن عن هذا قلن اربعة عشر فبيناهو يسير في جوف الليل اذاهو برجل يحمل ابنة صغيرة له كأنها البدر لتمه فأعجبته فقال لها ياجارية ماثمانية واربعة واثنتان فقالت اما ثمانية فاطباء الكلبة وأما أربعة فاخلاف الناقة واما اثنتان فثديا المرأة فخطبها الى ابيها فزوجه اياها وشرطت عليه ان تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك وعلى ان يسوق اليهامائة من الابل وعشرة أعبد وعشر وصائف وثلاثة افراس ففعل ذلك ثم بعث عبدا الى المرأة وأهدى اليها معه نحيا من سمن ونحيا من عسل وحلة قصب فنزل العبد على بعض المياه ونشر الحلة فلبسها فتعلقت بسمرة فانشقت وفتح النحيين فاطعم اهل الماء منهما فنقصا ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف فسألها عن أبيها وامها وأخيها ودفع اليها هديتها فقالت اعلم مولاك ان أبي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا وان امي ذهبت تشق النفس نفسين وأن اخي ذهب يراعي الشمس وان

(١) يشير الى عدم استعمال البنج في ذلك الحين مما جعل المرضى ان يتعذبوا عذابا اليما عند اجراء العمليات الامر الذي احزن دارون واثار شعوره لأنه كان دقيق الشعور

سماء كم انشقت وان وعاءيكم نضبا فقدم الغلام على مولاه فاخبره فقال أما قولها ان ابي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا فان اباها ذهب يحالف قوما على قومه وأما قولها ان امي ذهبت تشق النفس نفسين فان امها ذهبت تقبل امرأة نفساء وأما قولها أخي ذهب يراعي الشمس فان اخاها في سرح له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به واما قولها ان سماءكم انشقت فان البرد الذي بعثت به انشق واما قولها ان وعاءيكم نضبا فان النحيين اللذين بعثت بهما نقصا فأصدقني فقال يامولاي اني نزلت بماء من مياه العرب فسألوني عن نسبي فأخبرتهم اني ابن عمك ونشرت الحلة ولبستها وتجملت بها فتعلقت بسمرة فانشقت وفتحت النحيين فاطعمت منهما اهل الماء فقال اولى لك ثم ساق مائة من الابل وخرج نحوها ومعه العبد يسقي الابل فعجز فاعانه امرؤ القيس فرمى به العبد في البئر وخرج حتى اتى لاهل الجارية بالابل فاخبرهم انه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ماأدري أزوجي هو ام لا ولكن انحروا له جزورا واطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا فأكل ماأطعموه فقالت اسقوه لبنا جازرا وهو الحامض فسقوه فشرب فقالت افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فنام فلما أصبحت أرسلت اليه اني اريد ان اسألك فقال لها سلي عما بدالك فقالت مم تختلج شفتاك قال من تقبيلي اياك فقالت مم يختلج كشحاك قال لالتزامي اياك قالت فمم يختلج فخذاك قال لتوركي اياك فقالت عليكم العبد فشدوا ايديكم به ففعلوا قال ومر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر فرجع الى حيه وساق مائة من الابل وأقبل الى امرأته فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ماادري أزوجي هو ام لا ولكن انحروا له جزورا واطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا فلما اتوه بذلك قال واين الكبد والسنام والملحاء وابى ان يأكل فقالت اسقوه لبنا جازرا فأتي به فابى ان يشربه وقال فأين الضريب والرثئة فقالت افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فابى ان ينام وقال افرشوا لي عند القلعة الحمراء واضربوا لي عليها خباء ثم ارسلت اليه هلمَّ شريطتي عليك في المسائل الثلاث فارسل اليها أن سلي عما شئت فقالت مم تختلج شفتاك فقال لشربي المشعشعات قالت فمم يختلج كشحاك قال للبسي الحبرات قالت فمم تختلج فخذاك قال لركضي المطهمات فقالت هذا زوجي لعمري فعليكم به فأهديت اليه الجارية

شرح النهج لابن ابي الحديد

الصحة وتدبير المنزل

القلب وامراضه
٣

الاحتراس من الامراض القلبية — ان اسباب هذه الامراض عديدة جدا وهي تتأتى من مرض داخلي تارة وطورا من التقدم في السن واحيانا من التسمم في مواد مضرة الخ ومع ذلك فهناك أسباب تجعل له استعدادا فاذا تركت تزيده استفحالا واخص تلك الاسباب عدم المعيشة الصحية المرتبة ومع ذلك فان الامزجة العصبية والدموية قابلة بنوع خاص لامراض القلب السكيرون والنهمون والمولعون بأكل الطيور وشاربو النبيذ والقهوة والتبغ بكثرة مستعدون تمام الاستعداد لتلك الامراض وهذا ليس عاما فان بعض ضعاف الدم وذوي المزاج الليمفاوي معرضون لتلك الامراض وعلى كل حال فيلزم استشارة الطبيب في هذه الاحوال التاثيرات النفسانية والنهم والاتعاب الشاقة ذات تاثير بين على الوظائف القلبية وبالعكس الرياضة على انواعها والعيشة المرتبة فانها تكون حاجزا منيعا من هذه الامراض واحسن واق من الامراض القلبية عيشة القناعة والترتيب والمداومة على استعمال اكل الالبان مع الحياة البسيطة المرتبة فهي احسن واسطة لقمع هذه الامراض اما ادوية الامراض القلبية فتحتاج الى فطنة وجسارة تامة فقد تكون أحيانا سما قتالا فالديجتالين اذا اتخذ جرعات مرتبة يهدء خفقان القلب وبالعكس الكافيين فانه يهيجه ومن المفيد استعمال الوسائط البسيطة الطبيعية نظير الحجامات الجافة او الرطبة والفصد ايضا وقد كانوا قديما يستعملونها بافراط زائد

امراض القلب الوهمية — بعد ماذكرنا تلك الامراض القلبية الحقيقية يجب ان نعقب ذلك بذكر الامراض الوهمية كخفقان القلب مثلا الذي انتج نتائج غير حسنة مع ان الخفقان ليس من الامراض المهمة نعم قد يكون هناك قرح او شيء آخر واحيانا يكون علامة ضعف الدم او العصب وقد يشعر المريض وهما اذا كان عصبيا بان معه خفقان والحالة لا يكون شيء من ذلك فاشعة رنتجن التي تري الاعضاء الداخلية يستطيع معها الطبيب معرفة ذلك ونرى بها المري والمعدة فنطلع على داخل القلوب ويتمكن الطبيب من فحص القلب الذي هو العامل الاكبر للحياة

انفعالات القلب — علم الناس من القدم بان القلب قطب رحى الاحساسات والأميال وقد اهتم بذلك الفلاسفة القدماء وعلقوا عليها الشروح والحواشي خصوصا افلاطون وكذلك الفلاسفة الحديثون اهتموا بها ايضا وعلى كل فالقلب مركز التاثرات والانفعالات وكما ان للقلب سلطة على الجسم فله سلطة على الروح ايضا

وفي الاجمال يجب الرجوع في الامراض القلبية الى الطبيب والله الشافي

أهم الأخبار والآراء

المجلس العمومي—انفض المجلس العمومي بعد اجتماع اربعين يوما وكان نواب جبل عامل هذا العام الاستاذ الشيخ محي الدين افندي عسيران والحاج رشيد افندي القطب والحاج عبدالله افندي يحيى وعبد اللطيف بك الاسعد ومن جملة القرارات انشاء مدارس ابتدائية في انصار وكفر ملكاوشحور وشمع وطير دبا وجويه وعديسة وانشاء مدرسة زراعية في كفر رمان ينفق عليها ٧٦ الف غرش ومدرسة اناث في الغازية وتعمير سد من حجر لماء الباروك الذي يجيء لصيدا وغير ذلك فحبذا التنفيذ

الشيعة والاعيان—تعين هذه الآونة فريق من ابناء العرب بمجلس الاعيان منهم السيد عبد الحميد الزهراوي الشهير لكن لم يكن للشيعة في هذا التعيين نصيب كما لم يكن لهم عضو في لجنة المجلس العمومي الدائمة فالهم صبرا واذا لم تكن ذئبا اكلتك الذئاب

ديوان الطباطبائي — صدر هذا الاسبوع ديوان شاعر العراق الشهير السيد ابراهيم الطباطبائي المتوفى سنة ١٣١٩ وقد طبع طبعا جيدا على ورق جيد في مطبعة العرفان وعدد صفحاته ٢٨٨ صفحه بهذا القطع وثمنه خمسة بشالك وسوف نذكره في عدد قادم بباب التقريظ والانتقاد ان شاء الله

وفاة طبيب—فجعت صيداء هذا الاسبوع بفقد الطبيب حسين عوده الشامي الاصل درس رحمه الله الطب في القصر العيني وتوطن صيدا منذ اربعين سنة أو أكثر وكان ماهرا في العقاقير والنباتات يطبب الفقراء بقيمة زهيدة ويأنف من تطبيب الاغنياء الذين يعطون دراهم كثيرة لأنه كان مقتنعا بالكفاف محبا للخير كريم الاخلاق لم يغضب احدا ومن مميزاته القناعة والصبر وحب جميع الناس ولين الجانب وكان له اصدقاء عديدون من كبار الرجال منهم حسن حسني باشا الطويراني واحمد فارس الشدياق والشيخ طاهر الجزائري وغيرهم وكان يعتقد بأنه يعيش مائة وخمسين عاما فاكثر إلا أنه زلت به رجله في اثناء الطريق فاصيب بجروح عجلت على وفاته فمات عن عمر ناهز الثمانين وقد اسفنا لعدم اخذ رسمه لانه كان غريب الخلق والخلق فسبحان الدائم الباقي